تقرير

جورج شاهين

الحرب الإسرائيلية في لبنان عبرت شهرها الثاني وقفان للنار رافقا المفاوضات

لم يعكس اتفاقا وقف إطلاق النار في الحرب الاسرائيلية في لبنان في 16 و24 نيسان، ما اريد لهما أن يكونا شاملين، فاستمرت الخروقات العسكرية متقطعة من دون ان تؤدي الى حرب شاملة. وعليه، بقي الرهان قائما على مساري "طاولة واشنطن" بعدما عقدت الجلسة الثانية في البيت الأبيض، ومسار "اسلام اباد"

قبل ان يعبر اليوم الاخير من آذار الماضي كانت الحرب الاسرائيلية على لبنان قد اتخذت أكثر من مظهر جديد. فإلى الغارات التي تعددت اهدافها في الضاحية الجنوبية والبقاع بعد الجنوب على وقع تفجير المنازل وجرفها، وسعت اسرائيل من تهديداتها في اتجاه البقاع الغربي للمرة الاولى وطلبت اخلاء قرى سحمر ويحمر والتوجه شمال بحيرة القرعون.

على وقع البيان الذي صدر عن 10 دول أوروبية من بينها ايطاليا وفرنسا وبريطانيا اكدت فيه دعم لبنان، كان مجلس الأمن قد عقد جلسة طارئة بدعوة فرنسية (31 آذار) ودانت سفارتها في بيروت استهداف "اليونيفيل" واستشهاد ثلاثة من عناصرها في حادثين منفصلين، وانتهى البيان الى ادانة "توغل اسرائيل" في الجنوب، وان التجارب السابقة لم تحقق لها اي امان وحذر المندوب الروسي فاسيلي نيبينزيا من "خطورة استهداف الاعلاميين بعد تعرض فريق قناة "RT" الروسية (19 آذار) للاعتداء.

لم تغير المبادرات الديبلوماسية من مجرى العمليات العسكرية، وبعد مسلسل قصف الجسور والعبارات فوق مجرى الليطاني، واصلت القوات الاسرائيلية نسف المنازل في عدد من قرى الجنوب، وهددت مساء 5 نيسان بقصف معبر المصنع لاستخدامه للتهريب، فاتخذت الاجراءات العاجلة من الدولة اللبنانية. وتفقد المدير العام للأمن العام اللواء حسن شقير المعبر (6 نيسان)، مطمئنا الى سير الاجراءات الكافية لتحييد البوابة الاخيرة بين لبنان والعالم العربي، مشيرا الى انه "شرعي ولا يمكن ان يستخدم لتهريب السلاح وان كل الشاحنات تخضع لإجراءات تفتيش دقيقة". ووصف ما يتداول عن عمليات تهريب بـ "الادعاءات غير الصحيحة". لكنه لم يستعد حركته الا بعد وساطات قادها رئيسا لبنان وسوريا عبر القيادة المصرية، وصولا الى الادارة الاميركية لوقف أي عمل عدائي، فاستؤنفت الحركة فيه مساء 9 نيسان. وفي الوقت الذي جمدت فيه بعض شركات الطيران الاوروبية حركتها الى مطاري بيروت وتل ابيب حتى 3 أيار، كان اللبنانيون يتابعون حصيلة الغارات التي استهدفت مناطق عدة من بينها الجناح، والضاحية والجنوب يوم الاحد (5 نيسان)، بعدما استهدف أحد الصواريخ منطقة مار روكز في وسط المتن الشمالي (3 نيسان)، قبل رصد صاروخين اسرائيليين استهدفا شقة سكنية في منطقة آمنة في المشروع الماروني في منطقة تلال عين سعادة (5 نيسان).

تزامنا مع تطويق ذيول الانذار الموجه لإخلاء معبر المصنع، وجه إنذار آخر الى كل القطع البحرية في المجال البحري بين صور ورأس الناقورة (7 نيسان) لإخلاء المنطقة، فيما كان العالم يترقب تداعيات انذار الرئيس ترامب الى إيران في نهاية المهلة المعطاة لها للموافقة على ما هو معروض. جاء الجواب من اسلام اباد بأن هناك موافقة اميركية على مشروع ورقة ايرانية من 10 نقاط اعتبرها كافية لإطلاق المفاوضات، في مقابل ورقة اميركية تضمنت 15 نقطة.

كان ذلك قبل فجر 8 نيسان ليعلن عن وقف نار اميركي-ايراني لمدة 15 يوما يبدأ مفعوله صباحا. وعلى وقع الترحيب بالاتفاق، والتنويه بالجهود الباكستانية، بقيت الخروقات لساعات محدودة، انطلق الجدل ان كان وقف النار يشمل الساحة اللبنانية ام لا.

وجهت اسرائيل انذاراتها الصباحية الى صيدا وقرى جنوبية وصيدا اتبعتها بقصف الجسر الاخير فوق مصب الليطاني في القاسمية لقطع اخر وسائل التواصل مع الجنوب. كما قصفت الضاحية ولا سيما حي السلم للمرة الاولى، قبل ان تلقي 50 طائرة صواريخها على أكثر من 100 هدف في 10 دقائق، شملت احياء من بيروت للمرة الاولى من عين المريسة الى بربور وكورنيش المزرعة وتلة الخياط، وصولا الى بشامون وكيفون وسوق الغرب وعاليه في الجبل وشرق صيدا وساحل الشوف واقليم الخروب، تزامنا مع اخرى شملت عشرات القرى في بعلبك والهرمل والبقاعين الاوسط والغربي بما فيها حسينية شمسطار التي كانت تشيع احد القادة فقتلت عائلة من 6 افراد في جبانتها.

وقبل ان تتكشف نتائج العملية التي سمتها اسرائيل "الظلام الابدي"، ادعت انها استهدفت مقارا خفية للحزب في الاحياء السكنية ومسؤولين، في الوقت الذي زعمت فيه انها قتلت حوالى 170 عنصرا ومسؤولا من الحزب، بقيت الارقام النهائية غامضة ليوم "الاربعاء الدموي" وسط تقدير أنها ادت الى استشهاد حوالى 360 شخصا، واصابة اكثر من 1500 آخرين.

بعدها تدهور الوضع، نتيجة المجزرة التي ارتكبتها اسرائيل في النبطية باستهدافها مكتب جهاز امن الدولة فيها، مما ادى الى استشهاد 13 عسكريا نقلوا الى مدينة صيدا حيث اجريت مراسم الوداع بعد التكريم. كذلك أمرت هذه القوات بإخلاء 43 قرية جنوبية من سكانها دفعة واحدة، وتلقى رئيس الجمهورية اتصالات من قادة اوروبيين وعرب لتقديم العزاء بالشهداء، وتأكيدا لرفض هذه الدول وقادتها وحكوماتها لما شهده "الاربعاء الاسود" من مجازر مع الدعوة لوقف الحرب. في اليوم التالي التام مجلس الوزراء في قصر بعبدا (9 نيسان) واتخذ قرارا بـ"الطلب الى الجيش والقوى الامنية المباشرة فورا بتعزيز بسط سيطرة الدولة الكاملة على محافظة بيروت وحصر السلاح فيها بالقوى الشرعية وحدها"، كما تقرر رفع شكوى عاجلة الى مجلس الامن. وردا على اصوات تحدثت عن الحاق الموقف اللبناني بوقف النار الايراني مع الاميركيين، عشية الاستعدادات التي انطلقت لترتيب اول جلسات المفاوضات بين طهران وواشنطن في اسلام اباد التي عقدت يوم الاحد 11 نيسان، أكد الرئيس عون "ان الدولة اللبنانية هي التي تفاوض عن نفسها، ولا نقبل بأن يفاوض أي أحد سوانا عنا". وفيما نامت تل ابيب وطهران في ظل غياب اصوات صفارات الانذار للمرة الاولى، منذ 28 شباط الماضي، عاشت بيروت والقرى الجنوبية والبقاعية ليلا رهيبا بحثا عن جثث الشهداء تحت الأنقاض، والتعرف على هويات جثث مجهولة الهوية.

> **تحول كبير في نقل طاولة "مفاوضات واشنطن" من الخارجية الاميركية الى المكتب البيضاوي**

كانت الحملة الديبلوماسية قد بلغت الذروة لتسويق مبادرة رئيس الجمهورية بنقاطها الأربع، الى ان انتهت الضغوط الاميركية (9 نيسان) بإطلاق نتنياهو التحضيرات لبدء المفاوضات مع لبنان. واعلن القصر الجمهوري ليل 10 - 11 نيسان اشارة مماثلة للسفيرة اللبنانية في واشنطن ندى حمادة معوض للمشاركة في اتصال هاتفي هو الاول بين لبنان واسرائيل ممثلة بسفيرها في واشنطن يحيئيل ليتر، بمشاركة سفير الولايات المتحدة الاميركية في بيروت ميشال عيسى الموجود في واشنطن. وهو اتصال انتهى بالتوافق على عقد اول اجتماع بينهم يوم الثلثاء 14 نيسان في الخارجية الاميركية سعيا الى وقف للنار، وتحديد موعد بدء التفاوض بين لبنان واسرائيل برعاية اميركية.

من اولى نتائج هذه الخطوات، جمدت اسرائيل غاراتها على بيروت والضاحية، على وقع تظاهرات لمواطنين في اتجاه السرايا رفضا للمفاوضات ◄

المباشرة. في المقابل، أطلق الحزب عشرات مسيراته وصواريخه في اتجاه مواقع الاحتلال في الجنوب والعمق الاسرائيلي فيما اشتدت الاشتباكات في بنت جبيل ومحيطها، وتوغلت القوات الاسرائيلية حتى بلغت عصر 13 نيسان ملعب المدينة عشية اللقاء الاول في واشنطن بين سفيري لبنان واسرائيل.

لم تغير "طاولة واشنطن 1" التي عقدت في 14 نيسان، من مجرى العمليات العسكرية وبقيت المناوشات متقطعة جنوبا، الى ان أعلن عن اتفاق مؤقت لوقف النار في 16 نيسان لـ 10 ايام، قبل تمديد العمل به في 23 منه لـ 21 يوما وتنتهي مفاعيله في 17 ايار الجاري. تزامن تجديد الاتفاق مع اتصالين تلقاهما الرئيس عون من كل من الرئيس الاميركي دونالد ترامب بعد ساعات قليلة على اتصال من وزير خارجيته ماركو روبيو اللذين عبرا عن نيتهما بالسعي الى وقف الحرب. وشدد خلالهما عون على اهمية وقف العدوان بكل اشكاله والافراج عن الاسرى وانسحاب اسرائيل حتى الحدود الدولية، ورفضه اجراء اي اتصال مباشر مع نتنياهو، ليشكل تتويجا للجهود الهادفة بالتنسيق مع الدول العربية المتمسكة بأولوية مشروع "قيام الدولتين". تزامن التمديد الثاني لوقف النار، مع خطوة تاريخية نقل معها ترامب المفاوضات المباشرة بين لبنان واسرائيل من مبنى وزارة الخارجية الى مكتبه البيضاوي، والذي تحول لقاء مفتوحا على الهواء. ظهر ترامب محاطا عن يمينه بنائبه جي دي فانس وسفيري اسرائيل في واشنطن يحيئيل ليتر وسفير اميركا في تل ابيب مايك هاكابي، وعن يساره وزير خارجيته ماركو روبيو وسفيرة لبنان في واشنطن ندى معوض وسفير الولايات المتحدة لدى لبنان ميشال عيسى حيث جرى تبادل التقدير لمبادرة ترامب الذي وعد بـ "دعم "لبنان العظيم"، بشكل مباشر "لتمكينه من حماية نفسه". مجددا أبدى تطلعه الى "استضافة رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو والرئيس عون في المستقبل القريب" وربما "خلال الاسابيع الثلاثة الممددة لوقف النار".

تجدر الاشارة الى ان رئيس الجمهورية، قبل أن يشارك في الاجتماع غير الرسمي للاتحاد الاوروبي في قبرص (24 نيسان)، كان قد كثف اتصالاته الداخلية مع كل من الرئيسين نبيه بري ونواف سلام وقادة لبنانيين اخرين ومع القيادات السعودية والمصرية والقطرية والاماراتية والعمانية وتلقى اتصالات من الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون والمصري عبد الفتاح السيسي وامير قطر الذين شددوا على اهمية تنفيذ قرار "حصر السلاح" بالقوى العسكرية والامنية الشرعية قبل البحث في مشاريع الاعمار. كما التقى موفدين بريطانيين وفرنسيين والمانا ومن دول مختلفة لتحصين موقف لبنان في المفاوضات والتسويق لمطلبه بوقف نار نهائي ووقف اعمال التجريف الاسرائيلية.

وتزامنا، بقيت السرايا وعين التينة مقصدا لمجموعة من الزوار، وفي الوقت الذي قصد فيه رئيس الحكومة مقر الاتحاد الاوروبي في لوكسمبورغ (20 نيسان)، بدعوة من الممثلة السامية للاتحاد الاوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الامنية السيدة كايا كالاس، حيث شارك في لقاء جمعه بوزراء خارجية الاتحاد الاوروبي، قبل أن ينتقل للقاء الرئيس الفرنسي ايمانويل ماركون في باريس (21 نيسان)، كانت عين التينة تشهد حراكا ديبلوماسيا وسياسيا ونيابيا اعقب زيارة موفده النائب علي حسن خليل الى الرياض، وتزامن تواصله مع وزير خارجية السعودية فيصل بن فرحان ونظيره المصري بدر عبد العاطي، مع استقباله الموفد السعودي يزيد بن فرحان الذي جال (24 - 25 نيسان) على كل من عون وسلام، والتقى عددا من رؤساء واعضاء الكتل النيابية. كما التقى بري السفير عيسى الذي عاد الى بيروت لأيام عدة قبل استئناف مفاوضات واشنطن، التقى خلالها عون وسلام.

وتزامنت هذه الموجة من الاتصالات مع ادانة الاعتداءات التي طالت قوات "اليونيفيل"، فاستشهد جندي اندونيسي رابع في 24 نيسان متأثرا بجروح اصيب بها بنيران دبابة اسرائيلية (29 آذار الماضي). كما استشهد جندي فرنسي في بلدة الغندورية (19 نيسان) على ايدي مسلحين، قبل ان يستشهد رفيقه لاحقا متأثرا بجروحه (22 نيسان). كما استهدف الطيران الاسرائيلي الاعلاميين مرة أخرى، فاستشهدت مراسلة جريدة "الاخبار" امال خليل اثناء وجودها مع زميلتها المصورة زينب فرج التي اصيبت بجروح بليغة نتيجة غارتين في بلدة الطيري، وقتل في الاولى شخصان كانا في رفقتهما.

حتى اعداد هذا التقرير كان عدد النازحين في مراكز الايواء متقلبا نتيجة عودة البعض الى مدنهم وقراهم قبل النزوح منها مجددا. واحصى تقرير "وحدة ادارة مخاطر الكوارث" في السرايا الحكومية منذ تاريخ بدء الحرب في 2 آذار الماضي وحتى 27 نيسان وجود 114,534 نازحا يشكلون 28,913 عائلة، وقد توزعوا على 616 مركز ايواء، كما ارتفع عدد الشهداء الى 2521 شهيدا وارتفع عدد الجرحى الى 7804، فيما بلغ عدد الاعمال العدائية 9741 عملا.